



جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

<http://www.east.zu.edu.eg>

الزقازيق

العدد الثانى - السنة الثانية - أكتوبر ٢٠١٦ م - الجزء الأول

رقم الإيداع: ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمى الدولى

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣-١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم-جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الفضاء الشعري في أدب الحضارات القديمة حضارة وادي الرافدين والنيل إنموذجاً

أ.د أمل عبد الجبار الشرع

كلية الدراسات القرآنية

العراق، جامعة بابل

الفضاء الشعري في أدب الحضارات القديمة حضارة وادي الرافدين والنيل إنموذجاً

أ.د. أمل عبد الجبار الشرع

كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل

العراق

المقدمة:

تعد حضارة وادي الرافدين والنيل من أعرق الحضارات الإنسانية القديمة، وكان الأدب واحداً من أهم الفنون التي عرفها أبناء تلك الحضارتين معبرين من خلالها عن الحياة وقيمتها ومعانيها، وعن معتقداتهم الدينية بتمجيد الالهة ونيل الخلود في حياة ما بعد الموت، وهذا مانجده في الأدب المصري، واعتقادهم بإمكانه بقاء الروح حية بعد موت الجسم الطبيعي، لذا دفنوا كل ما يحتاج اليه في هذه الحياة بحسب اقتدار الميت، فضلاً على التحنيط للحفاظ على جسم الميت، فقد عبر الانسان عن هذه الحياة بالاسلوب الشعري بلغة تسمو على لغة التخاطب اليومي، وذلك لاعتقاد المصريين بخلود الادب، وكان الكتاب يشيدون دوماً بفضل الحكماء الذين كتبوا نصوصاً، هي في نظرهم أهم بكثير من بناء الاهرامات.^(١)

وقد وصل فن الادب درجة من الارتقاء والاتساع، ومنذ ذلك الحين فان هذا النتاج الادبي (بدأ يوثق وثبت على الالواح والرقم الطينية بحدود الالف الثالث قبل قبل الميلاد)^(٢) وقد ضمت هذه الالواح كتابات ادبية شتى وتنوعت مواضيعها من اساطير مختلفة الى ملاحم وقصص وترانيل دينية ومقطوعات حكمية وامثال ومناظرات وشعر،^(٣) وبمقارنة أدب وادي الرافدين مع أدب الحضارات الاخرى نجد أن أدب وادي الرافدين أقدمها سواء من ناحية زمن انتاجها، أم زمن تدوينها، فهي تسبق جميع ما انتجه الفكر البشري^(٤) فقد وصل الينا من هذا الادب قصائد شعرية عبارة عن قطع قصيرة تمتاز بالاعادة والتكرار، وكثرة الحوارات، فضلاً على الموقف التي تتجلى فيها الاحساس باكثر من وظيفته من حيث هو

(١) معالم حضارة مصر القديمة: ٢٦٩.

(٢) مقدمة في أدب العراق القديم: ١١٠/١.

(٣) ينظر: السومريين: ٦٤.

(٤) ينظر: ملحمة جلجامش: ٩.

تقدير الحوادث، والاسترجاع الى الماضي والتطلع الى المستقبل، واهمية المكان لما له صلة بالاحداث، ومشاعر الخوف من الاماكن المظلمة، ونحن في صدد الحديث عن الفضاء الزمكاني، فالفضاء الشعري ببنية تعبر عن الوجود الانساني ومشاعره وعواطفه، فهو الحيز الذي تتمظهر فيه الشخصيات والاشياء متلبسة بالاحداث التي يستعيدها عن طريق حوار او مناخاة شعرية او ترائيل دينية.

المحور الاول: الفضاء الزمكاني:

مصطلح يدمج الزمان مع المكان، وهذا الدمج لم يكن اعتباطاً، بل يعود الى مرجعيات علائقية جوهرية مترابطة، ومتبادلة بين الزمان والمكان.

فالمكان هو الحيز والزمان هو الاطار الذي يبرز حركة الاحداث داخل الحيز، فالعلاقة بينهما مترابطة في تحديد سياق الاثار الادبية التي تركها البابليون والسومريون والمصريون القدماء، وقد تناقلت الاجيال المتعاقبة هذه الاثار الضخمة عبر أزمنة متتابعة لما لها من اهمية كبيرة في تاريخ الاداب الانسانية، ويعكس الادب عقلية القدماء وامانيهم بالاساطير والاغاني والنصائح.

فقد نظر القدماء الى الزمن من حيث وظيفته، وهو تقدير الحوادث بعضها ببعض، أي هو المحور الكامن في الاحداث، ولكن من دون ان يعني ذلك استقلال الزمن عن الحدث، فالزمان والمكان هما العاملان الاساسيان في تحديد سياق الاثار الادبية، فان قوانين المكان لا تختلف عن القوانين المتحركة بالزمان، الوحدة الزمانية تفضي الى الوحدة المكانية، وهذا ما نجده في هذا المشهد من رحلة جلجامش* في الممر السفلي الذي تقطعه الشمس من مغربها الى مشرقها: (1)

دخل باب الشمس وسار في طريقها

وقطع ساعة مضاعفة

فكان الظلام دامسا ولا يوجد نور

ولم يستطع أن يرى ما أمامه ولا ما خلفه

وسار ساعتين مضاعفتين

ثم اربع ساعات مضاعفة

(1) جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة: ٩٢.

ولم يزل الظلام حالكا ولانور هناك

وسار خمس ساعات مضاعفة

وست ساعات مضاعفة

وسبع ساعات مضاعفة

وثماني ساعات مضاعفة

ولم يزل الظلام دامسا، ولا نور يمكنه أن يبصر ما أمامه وما خلفه

وبعد أن قطع تسع ساعات مضاعفة

احس ريح الشمال تلم وجهه

في هذه الملحمة صور رحلة جلجامش، ووصف شدة الظلام داخل الممر المظلم وهو الطريق الذي سلكه جلجامش، فالظلام غدى زمانا ومكانا يحيط به من كل الجوانب.

فضلا على مشاعر الخوف والقلق من هذا المكان؛ لذا اخذ يسارع في الوصول يقطع ساعات مضاعفة، لكن الظلام ما زال دامسا لانعدام النور، بحيث لا يرى ما أمامه ولا خلفه، ثم (سار ساعتين مضاعفة، واربع، وخمس، وست، وثمانين ثم قطع تسع ساعات مضاعفة)، مع سرعة قطع المسافة ومضاعفات الساعات اراد ان يتخلص من الظلام لكي يبصر النور؛ لكنه احس بريح الشمال تلم وجهه، فالزمان والمكان لم يأت معزولاً عن الظواهر الايقاعية فقد جاء تكرارا زمانيا مؤازرا له.

وفي قصة الطوفان نلمح تكراراً زمانيا واضحا في تصوير حلول المجاعة بين الناس لمدة ست سنوات متوالية، اذ يبدأ التصوير بذكر ما حل بالناس من جوع: (1)

في السنة الاولى الارحام ضامرة

فلم تلد مولودا

وعندما حلت السنة الثانية

(1) حضارة العراق: ١/٣٣٣.

اصابها الجرب

وعندما حلت السنة الثالثة

تشوهت ملامح الناس بفعل الجوع

وعندما حلت السنة الرابعة

قصرت سيقانهم وضمرت

وعندما حلت السنة الخامسة

اصبحت البنت تطيل النظر الى أمها وهي تدخل

تاركة اياها خارج البيت

وعندما حلت السنة السادسة

اتخذوا من البنت عشاء لهم

هذه الاعادة في جملة (وعندما حلت السنة)، تعكس لنا رتابة الحياة مع التدهور الزمني سنة بعد اخرى، وهي تصور ايضا حالة الناس المتداعية أثر حلول تلك المجاعة.

ومن نصوص الطوفان الاخرى نلمح فيها نجاة من السيول التي انداحت فوق وجه الارض من شدة المطر الغزير، فقد حمل الملك "زيو سودرا" في سفينة بعض البشر من الذكور والاناث وانواعا مختلفة من الحيوانات؛ لان المقطع الاتي يتحدث عن قيام الملك بعد النجاة من الغرق بنحر بعض الحيوانات على السفينة قربانا للالهة: (1)

هبت العاصفة كلها دفعة واحدة

ومعها انداحت سيول الطوفان فوق وجه الارض

ولسبعة أيام وسبع ليال

غمرت سيول الامطار وجه الارض

(1) ملحمة جلجامش: ٧١-٧٢.

ودفعت العواصف المركب العملاق فوق المياه العظيمة

ثم ظهر "أوتو" إله الشمس ناشرا ضوءه في السماء والأرض

فتح زيوسودا كوة في المركب العملاق

تاركا أشعة أوتو البطل تدخل منه

زيوسودا الملك

خر ساجدا أمام أوتو

ونحر ثورا وقدم ذبيحة من غنم

ومن التراتيل الدينية المنسوبة الى اخناتون، وهو الملك الذي قام بأعظم ثورة دينية، لنأخذ بعض القطع المختارة من ترتيلة "أتون" * الشهيرة التي نظمها اخناتون، وهي ترتيلة سامية في أفكارها ومعانيها، وفي صفاء فكرة توحيدها، ولتنتبع هذه التراتيل: (1)

وحيث تغرب في الأفق الغربي من السماء

يلفّ الظلام الأرض كالموت

وتكنّ المخلوقات كل ما في مأواه

والظلام كالكفن

والأرض في صمت وسكون

لان الذي صنع الكل مستقر في أفقه

وعند بزوغ الفجر، حين تظهر في الأفق

وحيث تشرق مثل: أتون "في النهار

فتطرد الظلمة، وتزهو الأرضان

(1) مقدمة في تاريخ الحضارات: ١٥٢/٢، وهو شقيق الإلهة (انانا) إلهة الحب: معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم: ٢٦.

فتدب الحياة والحركة

وينهضون على اقدامهم لانك اقمتمهم

ويرفعون بايديهم يمجدون ظهورك

الزمن متغير بحركة الشمس، وغروبها يلف الظلام الارض كالموت، لان الموت يخيف الانسان فالظلام عادة يثير الخوف، لان انحسار النهار يذكر ببزوغ الفجر، هنا يشير الى ان الليل من الاوقات التي تستكن اليه النفوس، وكل في مأواه حتى الارض تصمت، فهذا يمثل موت وقتي، اذا ما اثقل ظلام الليل على هذه المخلوقات، الا ان مفارقة بين الغروب والشروق الوقت المنصرم الذي يمضي يتصور دائما نهاية الزمن السالف، اما الشروق وهو المستقبل اعادة الحياة من جديد.

وتطالعنا قصيدة أخرى من الادب المصري القديم في مدح الموت: (1)

إن الموت أمامي اليوم كالمريض الذي أشرف على الشفاء

وكالذاهب الى حديقه بعد المرض

إن الموت أمامي كرائحة البخور والمر

او كالجلوس تحت الشراع في يوم شديد الريح

إن الموت أمامي كرائحة زهرة السوسن

او كجلوس الانسان على شاطيء السكر

إن الموت أمامي اليوم مثل مجرى الماء العذب

ومثل عودة الرجل من سفينة حربية الى داره

إن الموت أمامي كسماء صافية

ومثل رجل يصطاد طيوراً لا يعرفها

إن الموت أمامي كمثل رجل يتوق لرؤية منزله

(1) معالم حضارة مصر القديمة-الادب: ٢٧٨-٢٧٩.

بعد أن أمضى سنين عديدة في الاسر

فهذه الترتيلة بحق ذات فائدة فريدة ولا تخلو من جمالية بما احتوته من تشبيهات نابغة من حرارة نفسية خلابة؛ لان الانسان ادرك بان الموت لا بد منه فوصفه مرة كالمريض الذي اشرف على الشفاء، ومرة اخرى شبيهه تشبها حسيا كرائحة البخور وزهرة السوسن او كالجالس على شاطئ من السكر، ويستقيل الموت يفرح مثل الشخص العائد من الحرب الى داره او الرجل الذي امضى سنين عديدة في الاسر الذي ينعم اهله بسلامة الوصول فالموت امام مخيلته لا يفارقه ابدا ويحدده "اليوم" اي يقصد الوقت الذي هو فيه.

وتروي ملحمة جلجامش ايضا تأملات الانسان في الحياة والخلود في الدنيا، والموت، ومعنى الوجود، فقد ارخ ايامه بالخبز سعيا منه الى الخلود، الا انه واجه امتحانا عسيرا، كان عليه الا ينام ستة ايام وسبع ليال، لكنه لا يستطيع لان النوم يتسلط عليه، فيطلب "اوتونبشتم": من امراته ان تخبز سبع ارغفة من الخبز وتضعها عند راسه، وتؤشر على الجدار الايام التي ينام فيها: (1)

فصار الرغبة الاول يابسا

وتلف الرغبة الثاني

والثالث لم يزل طريا

وابيضت قشرة الرغبة الرابع

والخامس لم يزل طريا

والسادس قد تم خبزه في الحال

ولما كان الرغبة السابع

لا يزال على الجمر لمسه فاستيقظ

(1) قراءات معاصرة في نصوص تراثية: ٢١٨.

لقد حسب جلجامش انه نام على التو، لكن عدد الأرغفة وإشارات الجدار الدالة على عدد الايام التي نامها، أنبأته بان طلب الخلود مستحيل، وان الموت مقيم في مضجعه متمثل بهذا النوم الذي يرمز الى موت مؤقت. (1)

شكلت الارغفة عناء في الحياة التي كان جلجامش ان يحياها فخرها بالنوم، فلقد تلفت وبيست، وابيض قشرها، وحين نظر اليها تأسف وتألّم؛ لانه رأى فيها جثت ايامه الميتة وشاهدا على موته الكامن، ويبدو ان الميثولوجيا العراقية تؤكد مقام الخبز رديفا رمزيا للحياة، وإشارة الى عالم ما قبل الموت، عالم الحياة والخصب.

الاموات الذين يقيمون في العالم السفلي ستظل ارواحهم مهومة في الاعلى متحدية الزمان والمكان معا انها تستحيل اشباحا مؤذية لابد من اجل ابعاد ضررها يتعوذة لمواجهة اشباح الموتى، بان يعد خبزا غير مخمر من مواد معينة، اليك نص التعويذة:

ايها الاموات لماذا تظهرون لي

انتم يامن مدنهم الخرائب

وبيوتهم العظام

لماذا تطاردونني؟

وعند غروب الشمس يؤخذ الخبز السحري الى حفرة ليسكب مع الماء من خلال قرن ثور ثم تشعل المبخرة ليتصاعد لهيبها مع انسحاب خيوط النور الى المغيب.

الخبز في تراث الرافدين رمز للحياة، والغروب رمز للموت.

اما في الميثولوجيا المصرية، فالخبز جسد يؤول الى الموت مع صاحبه، يعطي للميت نفسه جزءا من اعتقاد المصريين القدامى يتمثل الاخرة في القبر، اي بمادية العالم الاخر.

وفي مقدمة كتاب الموتى الفرعوني تنص احدى الترانيم الموجهة الى "اوزريس" * على دعوات تصاحب القرابين التي تضم ارغفة الخبز واللحم والزيت والجعة والفاكهة، وفيها يبتهل الكاتب "آني" ويدهاء مرفوعتان قائلاً: (1)

(1) المصدر نفسه: ٢١٨.

عسى ان اخرج دون عائق

ولعلي امنح ارغفة الخبز

في منزل البرد

كما تحفظ لنا الاداب الفرعونية تعويذة بعنوان "تعويذة لتناول الخبز في عالم الموتى".

إن المصريين القدامى يعتقدون باستمرار التمايز بين اساليب الحياة في العالم الاخر، وقد تأكد التمايز بين صورة الحياة التي سيعيشها الملك في القبر المعد له، وتلك التي اعدت للأفراد العاديين، ولكن الحصول على الطعام والخبز خاصة، هو احد تمنيات الموتى القادمين كما تؤكد الترانيم.

المحور الثاني التكرار والحوار:

حاول الانسان في العصور القديمة التعبير عن حياته بأسلوب الخيال الفني الخصب والتصوير المتمثل بالعقائد القديمة والقصص بعضها حقيقي وبعضها خرافي.

فقد برز في هذين الحضارتين التراثين الدينية والتعاويذ والانشيد التي تتصل بمبادئ الحكم والوصايا المتمثلة بالحوارات وكثرة التكرار والاعادة لتقرير المعنى في ذهن السامع، ويرتبط التكرار بالحالة الشعورية والنفسية ويجذب الانتباه اليه بما يحمل من دلالات متباينة.

ولتكرار اكثر ما يقع في الالفاظ من دون المعاني، ومن ابرز نتاجات حضارة وادي الرافدين واشهر اثارها الادبية ملحمة كلكلمش (التي ظهرت في ربوع العراق، ثم انتشرت وذاع صيتها في العالم القديم).^(٢)

لنقف اولاً عند شخصية كلكلمش، تبدأ الملحمة بابيات تعرف شخصية كلكلمش واعماله وحكمته ومعرفته الواسعة ومنجزاته العمرانية التي خلدها (فهي اول عمل ادبي تجاوز بيئته لينتشر في معظم ارجاء العالم المتحضر في زمنه)،^(٣) نورد بعض هذه الابيات منها:

(١) اوزيوس: ملك الابدية وسيد الخلق.

-قراءات معاصرة في نصوص تراثية: ٢٢٠-٢٢١.

(٢) وهي سلسلة اقصيص عدت من اكثر الاساطير شعبية في بابل القديمة.

(٣) ملحمة جلجامش لا والاساطير السومرية والقصائد البابلية: ١٨-١٩.

هو الذي رأى كل شيء فغنى بذكره بلادي

وهو الذي عرف جميع الاشياء، وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد ابصر الاسرار، وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بانباء ما قبل الطوفان

لقد سلك طرقا بعيدة منقلبا ما بين التعب والراحة

فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبر

بنى اسوار "الوركاء" المحصنة

وحرّم "أي-أنا" المقدس والمعبد الطاهر

من خلال استقرائنا لنصوص هذه الملحمة نجد انها تضمنت النمطا مختلفة من التكرار تمثلت بتكرار الالفاظ والاشطر، وإن لهذا التكرار دلالة مؤثرة عبر بها عن شخصية جلجامش ومنجزاته بطريقة تجذب الانتباه اليه، فقد كرر الضمير هو مع اسم الموصول، بقوله "هو الذي بعد ذلك يكرر (رأى كل شيء)، (عرف جميع الاشياء)، (والعارف بكل شيء)، ثم يقول:

وفاق جميع الحكام، انه ذو الهيئة البهية السامية

انه البطل

انه المقدم في الطليعة

انه المظلة العظمى

انه موجة طوفان عاتية

هذا التكرار بتعدد صفات جلجامش كان مملا، وهذه الملاحظة رأيناها في الشعر البابلي حينما يقول: (إنه ذو الهيبة، إنه البطل، إنه المقدم، إنه المظلة...).

ومن روائع الادب السومري القديم سواء بافكاره ام باسلوبه وبنائه الفني وايقاعه الذي يعتمد التكرار المؤثر والحوار، ويدور الموضوع حول انشغال جلجامش بفكرة الموت التي تلاحقه وهو يرى المنية

تختطف الناس من حوله، وبحثه عن طريقة يخلد بها اسمه بعد مماته، فإذا كان لا بد من الموت فلا أقل من فعل جليل يترك لصاحبه ذكرا باقيا على مر الزمان، النص يقول: (١)

الى ارض الاحياء تاق السيد السفر

الى ارض الاحياء تاق جلجامش السفر

فقد كرر شطر البيت بعينه ثم يبدأ الحوار بينه وبين خادمه انكيديو والاله "أوتو" *، فقال لخادمه انكيديو:

"أي انكيديو، ان الختم والاجر لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد.

ولسوف ادخل ارض الاحياء، واخذ لنفسى هناك ذكرا

في الاماكن التي رُفعت فيها الاسماء سأرفع اسمي

في الاماكن التي رفعت فيها الاسماء سأرفع اسم الالهة

هذا التكرار واللاحاح المستقبلي، ولسوف أدخل...، وسأرفع اسمي، وسأرفع اسم الالهة، فاجابه خادمة انكيديوا:

(أخبر أوتو البطل أوتو)

فتلك الارض في رعاية اوتو

ارض الارز الوحشية في رعايتنا اوتو)

هنا الخادم ينصحه باستشارة الاله اوتو، من خلال الحاحه واصراره على اخبار اوتو؛ لانه بطل والارض في رعايته، فسمع نصيحة خادمه فتوجه بالقول الى اوتو السماوي، وبدأ يحاوره:

أي اوتو، اني لداخل ارض الاحياء فكن نصيري

اني لداخل ارض الارز الجبلي فكن معيني

(١) جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة: ٤٢-٤٣.

• اوتو: يدعى باللغة السامية، شمسوهو اله الحق والعدل وموحي الشرائع القانونية، وحامي جلجامش.

فتوسل اليه ان يكون نصيره ومعينه فاجابه اوتو بعد ان مدحه بقوله:

إنك لمقاتل نبيل حقا، لكن ماهي بغيتك من تلك الارض؟

فاجابه على الفور:

أي اوتو، سأتوجه اليك بكلمة علك تنصب الي:

وبدأ يسرد اليه ما جاء به بقوله:

في مدينتي يموت الرجل كسير القلب

يقضي الرجل حزين الفؤاد

انظر من فوق السور

فارى الاجداث الميتة طافية في النهر

وارى أني سأغدو مثلها حقا

فالانسان مهما علا لن يبلغ السماء طولا

ومهما اتسع لن يغطي الارض عرضا

وما دام الختم والآجر لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد

فقد ورد ذكر "الختم والآجر لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد، في هذا النص، ربما كان المقصود
"بالختم" أن كل انسان ساعة موته معلومة مطبوعة في لوح القدر، فنحن نعرف من نصوص سومرية
وبابلية أخرى عن وجود الواح تدعى بالواح القدر يحتفظ بها عادة كبير الالهة^(١).

أما في أدب وادي النيل التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد، فنلاحظ بروز ظاهرة
التكرار بوضوح في القصص والتراتيل والاناشيد الدينية فضلا على التراجم الشخصية في عهد ملوك
السلالة السادسة اخر سلالة عصر الاهرام.

(١) ينظر هامش جلعاش ملحمة الرافدين الخالدة: ٤٢.

ومن اشهر النصوص الادبية المكتوبة ما نجده في الكتابات الدينية التي تعرف بـ"النصوص الهرمية"، وهي اشبه ما تكون بالرقى والتعاويذ الدينية مع قطع قصيرة من الابيات الشعرية التي انمازت بالكرار والاعادة التي تعتبر من مميزات الشعر المصري القديم.

وقد وصل الينا نصوص ادبية من هذه الحضارة عبارة من ترانيل دينية نسبت الى ملكها "اخناتون" الذي كان شاعرا مرهف الحس واسع الخيال من اشهر ما حفظته المصادر "ترتيلة أتون":^(١)

ما أبهى واجمل شروقك في افق السماء

يا اتون الحي في الافق الشرقي

تملاً كل ارض بجمالك وجلالك

انت رحيم عظيم شيء تعلقو فوق كل ارض

انت "رع" * * * وانت "الكل"

وانت متسام في البعد

ولكن نور اشعتك فوق الارض

ظهر التكرار في هذه الترتيلة بشكل واضح لتأكيد المعاني السامية التي اودعها الملك فتكرار الضمير المنفصل "انت" يدل دلالة واضحة على عمق المعاني المودعة في هذه القوالب المكرر، وعلى ثبات الصفات السامية للمدوح التي تجعلها عاليا وشامخا في كل مكان.

وللبابليين عندهم معتقدات دينية بشأن خلق الكون والانسان، فقد جاء في الرقيم الرابع في مبايعة الاله مردوخ*^(٢)

ومنذ هذا اليوم ستكون كلماتك ثابتة لا تتغير.^(٢)

(١) اتون: القرن المتأجح، وهو اله الشمس عند السومريين وهو شقيق الالهة "انانا" الهة الحب: معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم: ٢٦. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في حضارة وادي النيل: ١٥٢/٢.

(٢) * * * رع: اله الشمس، فشروق ذلك الكوكب العظيم وغروبه يهب الحياة لكل كائن.

فمن شئت ان ترفع او تخفض فأمره منوط بيدك

أجل ستكون كلمتك هي الصحيحة

وسيكون قرارك معصوم من الخطأ

وعند ما تأخذ مكانك في المجلس ستكون كلمتك هي العليا

كل هذا تمجيد للاله مردوخ لعلو شأنه، وهذا الامر يعكس لنا قدرة الاله وسطوته ونفوذ كلمته، وقد

قاد مردوخ معركة نذكر جزء من نص المعركة:

الرياح الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية

ثم اطلق الرياح الشريرة والرياح الدوارة والاعصار

والرياح الرباعية والرياح السباعية والعاصفة الهوجاء

وريح اخرى لانظير لها

اجل لقد اطلق كل الرياح التي جاء بها السبع

فتكرار كلمة "الرياح" ومرادفاتها صورت لنا بدقة ضخامة تلك المعركة وعلو غبارها وشدة هولها

الامر الذي اثار في النفوس حالة من الرعب والرهبه من سيطرة الاله مردوخ على المعركة.

ومن الاثار الادبية المصرية نجد الادب الغنائي والعاطفي انشودة تعرف باسم "عبادة النيل"، وتعود

الى فترة قديمة، ويبدو انها الفت بمناسبة احد الاحتفالات بالفيضان: (1)

الحمد لك يا نيل، يا من تخرج من الارض

وتأتي لتغذي مصر

ياذا الطبيعة المخيفة، ظلام في وضح النهار

*مردوخ او "مردوك"، ويطلق عليه مردوخ بلدان، وقد ورد اسم هذا الملك لأول مرة في زمن الملك نبجلات بلصر الثالث ٧٢٨ ق.م، حكم اثني عشر سنة خلال فترة "٧٢١-٧٠٠ ق.م"، وفي سنة "٧٢٢ ق.م استطاع ان تجهز حملة على بابل وان يفرض السيطرة عليها. ينظر: معجم المصطلحات والاعلام: ١٣٢ - حضارة العراق: ٣٢٨/١-٣٢٩.

(1) معالم حضارة مصر القديمة: ٢٧٦.

انه هو الذي يروي المراعي

وهو المخلوق من "رع" اليغذي كل الماشية

وهو الذي يسقي البلاد الصحراوية

فان ماءه هو الذي يسقط من السماء

ويبدو ان هذه الانشودة ألفت بمناسبة احد الاحتفالات بالفيضان، وفيها تكرار على تمجيد الاله "رع" بتكرار كلمة "هو الذي" في اشطر الابيات.

وشاع ايضا نوع آخر من التكرار "تكرار الاشطر والابيات، إذ وصل الينا من هذا الموروث العريق الكثير من الاشعار التي تمثل أغاني النصر، وهي تقص أخبار الغزوات والانتصارات الباهرة.^(١)

عاد الجيش في سلام

بعد ان محق ارض الساكنين على الرمل

عاد الجيش في سلام بعد أن حطم ارض الساكنين على الرمل

عاد الجيش في سلام بعد أن حطم حصونهم

عاد هذا الجيش في سلام بعد أن أشعل النار في كل جيوشهم

فتكرار الابيات "عاد الجيش في سلام" صور لنا بدقة ضخامة المعركة وقوة الجيش واهتمام المتكلم.

اما قصائد الحب في مصر القديمة، فهي تشبه نظائرها في اي بلد آخر، اننا نرى المحب يشبه محبوبته بكل انواع الزهور في الحديقة، اليك انموذجا من نص القصيدة.^(٢)

ياحبيبي تعالي اليّ في الحديقة

أنّ حبيبي مثل كل زهر تنفح عطرها

فارعة العود، ممشوقة القوام

(١) المصدر نفسه: ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٧-٢٧٨.

مثل نخلة تيه بشبابها

في كل خد من خديها وردة حمراء

وفي الادب القصصي نجد قصة حلم جلجامش الى امه الذي تتبأ بقدم انكيو الى اورك مع

الكاهنة: (١)

يا اماه لقد رأيت في ليلتي حلما

حدث ان كواكب السماء

قد سقطت على ظهري

مثل جنود الرب انو (٢)

حاولت رفعه فنقل عليّ

حاولت إزالته، ولكنه كان ثقيلاً عليّ.

استخدم جلجامش صيغة الجمع في حديثه عن كواكب السماء التي سقطت على ظهره جلجامش، ثم تحول بعد ذلك الى صيغة المفرد، فجلجامش لم يحاول رفع الكواكب الساقطة من على ظهره، بل حاول رفع واحدة منها فقط، او من المحتمل تكون "مجرة واحدة" لأنه لو كان يرفع كوكب واحد لكان ضعفاً منه، ففضاء جلجامش عبر حلمه الممتد في نومه من تصوراته، تعود بالتفسير الى هيمنة الفضاء المتصور بالاعتقاد والنبوءة عن فضاء الحلم.

ومن فضاء الاحلام نجد نصاً من ملحمة جلجامش فيه خطاب "الاله انليل" ** عن موت

جلجامش: (٣)

(١) جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة: ٩٨.

(٢) انو: ويعني ما فوق السماء مركز عبادته المدينة المقدسة "نفر" وشيدت له معابد اخرى في عقرقوف: معجم المصطلحات والاعلام: ١٦٤، وينظر: سلسلة المائة كتاب - بلاد الرافدين: ٣٦٢.

** انليل من الالهة المعظمة عند سكان العراق القدماء، وهو اله الجو والهواء ويعني بالسومرية الاله المسيطر على الكون ويأتي بعد الاله انو: المصدر نفسه: ٦٤.

(٣) جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة: ٦٦.

لقد اعطى لك يا جلجامش السلطان

اما الحياة الخالدة فلم تكتب لك

وهبك السيادة على كل البشر

وهبك لانظير له

وهبك نزالا في المعركة لايفر منه احد

وهبك انقضاضا لايجاريه أحد

وهبك كرا لاينجو منه أحد

هذه الاعداء في الاشطر تصور لنا فضل الاله "انليل" على جلجامش، فقد كرر جملة "وهبك" في جميع الاشطر تقريبا، وهذا الخطاب يدل على ان "انليل" منح جلجامش كل شيء من سلطان وسيادة... " في الدنيا، لكنه حرمه اياه ما بعد الموت.

ومن الادب السومري، نجد نصا قصيرا يروي فيه قصة حياة القائد "صاغورن" الاكدي الذي استطاع توحيد البلاد والقضاء على الاسر الحاكمة المتنازعة في سومر على الحكم نتيجة حالة التفكك السياسي السومري، وهذه المنازعات قادت دويلات المدن السومري الى الخراب التام، فيقول: (1)

أنا صارعون الملك العظيم ملك أكد

امي كانت كاهنة معبد ولم اعرف لي اباً

حملت بي امي الكاهنة سرا

وعندما ولدتني وضعتني في سلة من القصب ختمتها بالقار

وانزلتني في الماء الذي لم يغمرنني

حملني النهر وساقني الى البستاني آكي

انشلني البستاني آكي عندما كان ينضح الماء بسطة

(1) المصدر نفسه: ٢٠-٢١.

واخذني اليه كابن له ورياني

جعلني اكي البستاني اعمل بستانيا في ارضه

وبينما انا اعمل في البستان منحنتي عشتار حبها

فصرت ملكا اربعة و...سنة.

فصاغون الأكدي هو من صفوف عامة الساميين الاصليين، جاء في شبابه الى مدينة كيش في شمال سومر، ودخل في خدمة البلاط الملكي حتى وصل فيه الى منصب يعد من المناصب العالية في الحضارة الرافدية، وهو منصب ساقى الملك ويعد بمثابة الوزير المؤتمن على حياة الملك واسراره الشخصية.^(١)

ان جمال هذه القصة انما يبدو في اسلوبها الرشيق اكثر مما يبدو في حداثها البسيطة، وذلك بما تضمنته من خطابات.^(٢)

ومن النماذج الادبية الطريفة قطع خصصت للاشادة بفن الكتابة وسمو مقام الكتابة، ومن هذه القطع نصيحة او وصية من والد الى ولده، فبعد ان يعدد الاب تعاسة اصحاب الحرف الاخرى يعيد على ولده النصيح، من انه ينبغي له ان يقبل على تعلم الكتابة ليصبح كاتباً فيستطيع ان يدخل في سلك القضاء، فان حرفة الكاتب لاتفوقها حرفة فهو وافر العيش في بيت الملك.^(٣)

قال الكاتب الملكي "دواور-سي-خارع" في تعليماته لولده "يابي".^(٤)

"لقد رأيت جميع المهن، ولكنني حبيبتك بالآداب، أعرض لك بهاءها أمام وجهك، فهي أهم المهن. ان من يعمل على الاستفادة منها منذ صغره يكون محلاً للأجلال، فيوفد للقيام بالمهام، اما الذي لا يصيب منها شيئاً قيبقى في الفقر والشقاء".

(١) ينظر جلعاش ملحمة وادي الرافدين الخالدة: ٢٠-٢١.

(٢) معالم حضارة مصر القديمة: محمد الخطيب: ٢٧٥.

(٣) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل: ١٥٠-١٥١.

(٤) سقوط بابل: ٣٣-٣٤.

وبفضل الكتابة وجدنا رسائل بين ملوك العراق ومصر في العهد الكيشي،منها رسالة كتبها ملك بابل الكيشي"كادثمان انليل"الى ملك مصر"امنيوفيس الثالث"بعد ان وصلتته رسالة من ملك مصر يطلب يد ابنته الجميلة.

فقال له:كيف تطلب مني ابنتي للزواج منك على حين ان اختي التي اعطاك اياها والدي لاتزال عندك،وما من احد رآها بعد ان تزوجت منك اين هي؟ وما اخبارها؟...،فيا ايها الملك العظيم ارجوك ان توافيني باخبار اختي فاني قلق عليها، واذا وصلتني اخبارسارة عن اختي فستصلك ابنتي بعدها فوراً، فكتب الملك المصري:

"أيها الملك البابلي والصهر العزيز انك قد صدّعت رأسي بالكلام على اختك،فلماذا انت قلق الى هذا الحد؟هل ارسلتها الى غابة اسود؟هب ان اختك قد ماتت، فلماذا أخفي عليك موتها؟هل انا خائف منك؟!؟.

يبدو ان هذا الزواج الدبلوماسي والمصاهرة السياسية لتقوية العلاقات بين بابل ومصر.

وهناك نوع آخر من هذا الادب القديم تطغى عليه روح التشاؤم، وتبدو فيه حيرة الانسان وجزعه من نفسه، وتدور القطعة الادبية على حوار بين انسان جازع من الحياة والعيش وبين نفسه،فلما ان وجد ذلك الشخص الحياة لأتطاق فكر في الانتحار،واخذ يقنع نفسه بالامر،وكانت نفسه مترددة، فقد وافقت في مبدأ الامر،ولكنها خشيت العاقبة من ان صاحبها سوف يحرم اقامة الشعائر الخاصة بالدفن من بعده فيصيبها الهلاك من جراء ذلك.^(١)

وفي الادب العراقي القديم هناك حوار بين السيد وعبده، وهذا الحوار يتناول موضوع الخير والشر،وقسم آخر جاء على شكل طابع هزلي ظريف،مثل قصة رجل فقيرمن "نُفّر".

وفي الادب المصري ايضاً كتب للنصائح لها طابع مميز هي ان يكتبها اب الى ابنه ينصحه فيها ويرشده الى محاسن الاخلاق،وحسن السلوك في الدين، وكانت تتصل مباشرة بمواقف حياتهم الدنيوية فهي تعد مظهراً من مظاهر الحضارة المصرية خلال ما يقرب من الفي سنة.

نورد بعض الامثلة:^(٢)

(١) للمزيد ينظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١٥٢/٢-١٥٢.

(٢) معالم حضارة مصر القديمة: ٢٧٩-٢٨٠.

- اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الله.
 - احذر ان تكون عنيدا في الخصام فتستوجب عقاب الله.
 - اجعل لك مبدأ صالحا، وضع نصب عينيك في جميع احوالك غاية شريفة تسعى بها لتصل الى شيخوخة حميدة وتهيبء لك مكانا في الاخرة، فان الابرار لاتزعجهم سكرات الموت.
 - صن لسانك عن مساويء الناس، فان اللسان سبب كل الشرور وتحرمحاسن الكلام واجتنب قبائحه، فانك ستسأل يوم الحساب عن كل لفظة.
 - اذا وليت منصبا فاطهر براعتك فيه لتؤهل نفسك لأرقى منه.
 - لاتجلس وغيرك واقف اذا كان اكبر منك سنا، ولو كنت ارفع منه منزلة ومقاما.
- وهناك نصائح ايضا موجه الى امير يقول فيه: (١)
- اذا غدوت مسؤولا فحاول ان تكون كاملا، واذا جلست مجلس فتذكر ان الصمت خير من الكلام الذي لا معنى له.
- وهذه النصائح قيلت قبل خمسة الاف عام فالى كم من السنوات تحتاج هذه الافكار لكي تعم العالم ويعيش بموجبها؟.

الخاتمة:

ونقف لنلقي عصا الترحال بعد الخوض في ادب الحضارات القديمة، وامتداد تأثيرها الى مناطق عديدة من بلدان العالم، فقد لقي الادب استحسانا عظيما عند رجال الادب، فالافكار الادبية انتشرت من العراق القديم الى مصر، وفلسطين وسوريا واسيا الصغرى وصولا الى بلاد اليونان، وكان من بين ما اكتشف من نصوص مسمارية مدونة في اللغة الاكدية في تل العمارنه "مصر" نسخة من القصة البابلية المعروفة بقصة ادبا، (٢) وهذا التأثير يبدو ان هناك وجود صلات ادبية وفكرية بين اقطار الوطن العربي وبلاد اليونان.

(١) المصدر نفسه: ٢٨١.

(٢) حضارة العراق - الادب: ٣٢٥/١.

اما القصائد الشعرية التي وصلت اليها فتتراوح بين الطول والقصر وموزونة الا انها غير مقفاة ويغلب عليها ظاهرة التكرار سواء أكان التكرار في الزمن ام تكرار الكلمات والاشطر بعينها ليصل من خلالها الى توكيد فكرة ما وترسيخها في هن المتلقي، ووجدنا قطع شعرية فيها تكرارا مملا في بعض الاحيان، وهذه الصفة في الشعر البابلي والتكرار ايضا من ميزات الشعر المصري القديم، وكان للمصريين القدماء أدب هو من أقدم الآداب العالمية، وأنه ذو مكانة سامية، فقد عكس عقلية المصريين القدماء وامانيهم واعتقادتهم بالموت وحياة ما بعد الموت، وكذلك اعتقادهم بخلود الادب؛ لانه يخلد اثارهم، والملاحظة على هذا الادب ان الادب الديني هو المسيطر على جميع جوانب الادب المصري.

اما بالنسبة للفضاء المكاني فله صلة بالاحداث والمحرك الاساس لها، وهذا ما لمسناه في ملحمة جلجامش في الممر المظلم التي تعد من عيون الادب السومري الذي يزخر بالمادة الاسطورية والدينية وهي تعالج موضوعات هامة منها الانسان وموقفه من الحياة والموت وما بعد الموت والخلود؛ لان الانسان هو عنصر الملحمة الرئيسي ومغزاها.